العلامة عبد الرحمان الثعالبي

رحلة عِلم وعمل (القسم الثاني)

أ. الصادق دهاش*

الإجازات التي تحصل عليها الثعالبي:

1. الشيخ الأبي و إجازته للثعالبي:

لذلك جلس للتعلم للمرة الثانية أيضا على يد الشيخ الأبي والذي أجازه بخط يده ما نصه" الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد شرف النبيين أما بعد: يقول الفقير إلى الله، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف

* قسم التاريخ، جامعة الجزائر.

الثعالبي لطف الله به هذا استدعاء التمس به الإذن بالإقراء فيما نذكر من سيدي ومولاي الشيخ الإمام، الحجة، الثقة إمام المحققين الجامع بين حقيقتي المنقول والمعقول، ذو التصانيف الفائقة البارعة والحجج الساطعة اللامعة، سيدنا أبو عبد الله محمد بن خلفه أعاد الله علينا من بركاته وبركة سلفه، فمما حضرته عليه قراءة بحث وتحقيق لمعانيه من أوّله من كتاب "الإيمان إلى الطهارة" متواليا، وأكثر كتاب "الصلاة" وكثيرًا من أواخر مسلم، وكثيرًا من "المدونة"... وكثيرًا من ورقة البيوع وأكثر الرسالة، وابن الحاجب، والإرشاد لأبي المعالي كله إلا يسيرا منه بنحو ورقتين من أوله لم أحضره وشيئا من أواخره بعد النبوءات أعجلني السفر عن حضور متنه.

فأجابه الشيخ الأبي بما يلي : "الحمد لله ما قاله الصاحب الفقيه المجيد الأكرم أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، صحيح فقد آذنت له في إقراء ما ذكر وثوقا بجودة فهمه وجودة قريحته جعلني الله وإياه من العلماء العاملين ..."[1].

2. الشيخ محمد بن مرزوق وإجازته للثعالبي :

قدم الشيخ أبو عبد الله محمد مرزوق[2] إلى تونس سنة 819هـ/1417م، قاصدًا الحج إلى بيت الله الحرام، فالتقى به الثعالبي قرابة السنة، فأخذ عنه، كثيرًا من الموطأ بقراءة الفقيه حفص عمر بن الشيخ أبي عبد الله القلشاني، وأخذ عنه الثعالبي أيضا الأربعين حديثًا التي جمعها أبو زكريا يحي النووي، فقرأها عليه قراءة فهم وتفهم.

ونظرا لسمعة الشيخ محمد بن مرزوق وتأثيره في الشيخ الثعالبي حتى قال فيه هذا الأخير لا أعلمله نظيرًا في ذلك في وقته، فيما علمت وسمعت عليه".

---

1. نفس المصدر، ورقة 40 ـ 2. ابن مرزوق الحفيد 766-842هـ/1364-1439م،فهو حفيد العلامة الذائع الصيت "شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن احمد،بن أبي بكر محمد بن مرزوق (ت 781هـ-1379م)، درس ابن مرزوق الحفيد على يد علماء عظام من أمثال ابن خلدون عبد الرحمن والفيروز آبادي، ومحب الدين بن هشام، اشتهر ابن مرزوق الحفيد بسعة العلم والاطلاع والتحقيق والذكاء والخطابة انظر عبد الرحمن الجيلالي،مرجع سابق ج2 ص:213 وبالنسبة للجد ص131-134 له وثيقة تحبيس كتبها بخذ يده لتونسي من مدينة توزر لحبس بستان له المزيد لنظر، أبو القاسم سعد الله،أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الجزء الثاني المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1986 ص351-356.

ترك ابن مرزوق الحفيد، عدة تآليف متنوعة الاختصاص، خاصة وأنه يلقب بالفقيه واللغوي والمحدث والمفسر.

فدرس الثعالبي عليه "حلية النووي" وأجازه جميع مرويات الموطأ والبخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي، وابن ماجة، ومحي الدين بن حبان وسنن الدارقطني، وصحيح ابن حبان والبيهقي، ومسند الشافعي، ومصنفات النووي، والمدونة والتهذيب، والرسالة وابن الجلاب والتلقين وابن الحاجب الفرعي والأصلي والجمل والتسهيل، والألفية، والكافية، والسيرة لابن إسحاق وتهذيب بن هشام وقصيدة البوصيري، والمفردات في القراءات، العثمان لأبي داوود، والتيسير في القراءات لابن عمرو، والمقنع، والشاطبية، وهي حرز الأماني، وابن بري ومصباح الظلم، وسائر تآليف أبي الربيع بن سالم، ومورد الظمآن في رسم القرآن. كل هذه التصانيف[1] قد أجازه فيها بن مروزوق الحفيد.

هذا وكان الثعالبي قد كتب مقدمة مسهبة في حق شيوخه، فاعتبرهم بمثابة نجوم يهتدي بهم وأعلام يقتفي أثرهم الحيارى نقتضب منها قوله: "... سيدي وشيخي، الإمام الحبر الهمام، حجة أهل الفضل في وقتنا وخاتمتهم، ورحلة النقاد وخلاصتهم، ورئيس المحققين وقادتهم، السيد الكبير، والذهب الإبريز والعلم الذي نصبه التمييز، ابن البيت الكبير والفلك الأثير، ومعدن الفضل الكبير، سيدي أبو عبد الله محمد، الإمام الجليل، الأوحد، الأصيل، جمال الفضلاء، سليل الأولياء، أبي العباس أحمد، بن العامل الكبير الشهير، تاج المحدثين، وقدوة المحققين، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق حفظه الله ..."[2].

---

1. عبد الرحمن الثعالبي،العلوم الفاخرة،مخطوط مصدر سابق ج2،ورقة40 - **2.** كتب كل هذه التصانيف في كتابه "الفهرست" علينا أن لا نخلط بين هذه التآليف لعبد الرحمن الثعالبي وبين كتاب الفهرست" لصاحبه، محمد بن إسحاق القديم الذي حققه وقدم له الدكتور مصطفى شويمي،الدار التونسية للنشر تونس1985، وهو موسوعة شاملة ضخمة تحتوي على أكثر من904 صفحة وهناك أيضا ابن بكر بن خير الأموي الاشبيلي

لقد أجازه بن مرزوق كل مروياته من مسموع ومقروء ومجاز ومؤلف من فقه وحديث وعلم ولغة، وصرف ونحو وبيان وأصول ومعقول ومنقول من منظوم ومنثور وتصوف وأدب.

وهاهي صيغة الإجازة، التي كتبها بن مرزوق بيده للثعالبي قال فيها: "... قد أجزت سيدي الشيخ الأجل، الفقيه الأنبل، المشارك الأحفل، المحدث الرحالة الأفضل، الحاج الصالح المبارك الأكمل أبا زيد عبد الرحمن الثعالبي ... أجيزه إجازة مطلقة كاملة عامة، نفعني الله وإياه بما علمنا، قال ذلك وكتبه، محمد بن أحمد، بن أحمد بن محمد بن أبي بكر، محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني[1]".

كانت هذه الإجازة، في أواسط جمادى الثانية، عام تسعة عشر وثماني مائة 819هـ/1417م رغم أن السيد عبد الرحمن الثعالبي يعد قطب مدرسة التصوف والزهد، إلا أنه جمع بين العلم والزهد وهي ازدواجية يصعب توفرها عند الكثيرين.

وتظهر منهجية الثعالبي في ذكر مصادره وموقفه منها في إيجاز غير مخل وإطناب غير ممل، فهو صورة لحلقة وصل بين المناهج القديمة وطرق البحث الحديثة.

3. الشيخ ابن الكويك وإجازاته للثعالبي :

يواصل الثعالبي تأريخه لحياة شيخه ابن مرزوق في سابقة رائدة لم يسبقه فيها أحد، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على مدى الإعجاب الذي يكنه التلميذ لأستاذه، وعلاقة التأثير والتأثر بين الاثنين بادية للعيان.

لذلك يقول الثعالبي بأن ابن مرزوق ذهب إلى الحج وأثناء نزوله بمصر التقى فيها بالشيخ محمد بن عبد اللطيف بن الكويك، والذي أجاز ابن مرزوق بجملة من التصانيف، رغم أن الثعالبي يرى بأنه لم يكن له

---

1. عبد الرحمن الثعالبي ،العلوم الفاخرة، مخطوط مصدر سابق ج2 ورقة41.

شعور بهذا الشيخ وهو بمصر، وبالتالي فإنه خير عميم كان يحمله الشيخ ابن الكويك.

وإن كان الثعالبي، قد استفاد منه عن طريق شيخه ابن مرزوق الذي أجازه كل تلك التصانيف التي تحصل عليها هو الآخر عن طريق الإجازة. فيعطي لنا الثعالبي قائمة مطولة لهذا الزخم الكبير والتي تدل على كبير قيمة هذه التآليف والتي هي من قيمة صاحبها.

ومن أمهات هذه الكتب : حلية ابن نعيم، وموطأ سويد الحدثاني، وموطأ الإمام محمد بن الحسين الشيباني، وكتاب الآداب المفرد للبخاري، وبر الوالدين، وشمائل النبي (ص)، تآليف الترمذي وكتاب الجمعة للنسائي، وكتاب عمل اليوم والليلة له، وعمل اليوم والليل لابن السنّي وكتاب دلائل النبوة للبيهقي، وكتاب الآداب له، ومسند عبده بن حميد، ومسند الطيالسي، ومسند أبي يعلى الموصلي ومعجمه، ومسند الحيمدي، ومعجم بن أبي صميع، وكتاب الطالبين، والسنن للشافعي في رواية المزني وكتاب اختلاف الأشهرية ومعجم ابن أبي نافع والمعجم الكبير للطبراني، والمعجم الأوسط له والمعجم الصغير له، وشرح السنة للبغوي، والمصابيح له، ومشارق الأنوار للصاغاشي وشرح معاني الآثار للطحاوي وكتاب الأذكار للنووي، وكتاب رياض الصالحين له، وفضل القيام له وسلاح المؤمن للعلامة إمام جامع الصحاح، وكتاب المايتني للصابوني، وكتاب المجالسة للدينوري وكتاب صفوة التصوف للمقدسي، ورسالة القشيري، وعوارف المعارف للسهروردي، وكتاب الغيلانيات، وكتاب أحاديث الخلعي، وكتاب جوايد بن تمام، ومسند العيدني، مسند الشهاب وأحاديث الشهاب في المواعظ، وكتاب مسند في إمامه والمستخرج على صحيح مسلم لآبى نعيم الحافظ والمسموع من المواعظ والمسموع من المستخرج، ومسند عمر بن عبد العزيز، وأحاديث أبي الجهم، وكتاب نظم السيرة لابن الشهيد أربعة أسفار وكتاب عيون الأثر في المغازي والسّير للعلامة ابن سيد الناس،

وسيرة الإمام الحافظ الدمياطي، وسيرة الشيخ زين الدين المقدسي صاحب العمدة، وسيرة الشيخ عبد العزيز بن جماعة، ونظم السيرة للشيخ زين الدين العراقي، وكتاب الوفاء للحافظ بن الجوزي، وكتاب النبي (ص)، وشرح الأربعين لابن الفاكهاني، وكتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق، وكتاب المنتقى لابن تيمية وكتاب الإلمام لابن دقيق العيد، وكتاب العمدة في الأحكام، والأربعين للنووي وكرامات الأولياء ومختصر الموطأ للقابسي، وعلوم الحديث لابن الصلاح[1].

نستنتج من كل هذه الكتب مدى الاهتمام الواسع الذي كان يوليه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي للمنهج التوثيقي، الذي لم يكن منهج حوليات (تتابع السنيين) بل تراجم لعلماء دهاة وتقاة، فمن أهم المعاجم كتاب البستان لابن مريم.

وبهذا يكون الثعالبي قد شرح عصره تشريحا دقيقا، قدم لنا مادة تاريخية غزيرة ومتنوعة بتنوع ميولاته.

كما كشفت لنا هذه الوثائق عن نوعية الوسط الثقافي الذي ساد عصر الثعالبي وهو عصر التنافس العلمي والثقافي بين مختلف دور العلم والمعرفة، حتى تعم الفائدة من الإنتاج الأدبي والمعنوي لإنسان القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي.

لم يكن الثعالبي وحده مسخرا فكره وقلمه للنهوض ببني عصره والعمل على رفع درجة الوعي الجماعي للأمة الإسلامية وانتشالها مما هي فيه من جمود وركود.

بل هناك شخصيات أخرى معاصرة له كانت تقوم بنفس العمل أو أكثر وإن اختلفت الوسائل فإنّها اتحدت في الهدف ومن هؤلاء

1. نفس المصدر ورقة41

محمد الحبّاك[1]، ومحمد بن يوسف السنوني[2] ومحمد بن عبد الله التنسي[3]، وأحمد الونشريسي[4]، وأبو العباس أحمد بن زكريا[5].

لقد تحصل الثعالبي على عدة إجازات في عدة مرات من طرف شيخه ابن مرزوق الحفيد كانت آخرها في أواخر رجب عام عشرين وثمان مائة 820هـ/1422م[6].

لذلك ترى الثعالبي يواصل ذكر التآليف التي أجازه فيها الشيخ ابن مرزوق وهي التي أجازه فيها العلامة المصري ابن الكويك، ومن هذه الكتب "كتاب سيبويه" و[illegible] لابن عصفور وفصول ابن معطي، والفتية، والعمدة لابن مالك.

فمن كتب الحنفية: القدوري، ومختار الفتوى وشرحه لمؤلفه، والمنظومة والهداية، ومن أصول الحنفية الروضة لابن قدامة.

ومن كتب المالكية: الرسالة لابن أبي زيد، والتلقين، وابن الحاجب الفرعي، ومن أصول المالكية، أصول ابن الحاجب.

ومن كتب الحنابلة :

المحرر والمقنع ومن أصول الحنفية المنار، وكتب الشافعية : التنبيه والمنهاج والحاوي، ومن أصول الشافعية، البيضاوي وجمع الجوامع المسبكي[7].

---

1. نفسه، ورقة42 ـ **2.** توفي سنة 867هـ/1463م فلكي شهير ألف في علم الأسطرلاب (الفلك) ـ **3.** توفي سنة 865هـ/1490م اهتم بعلوم كثيرة أهمها المنطق والطب والحديث ـ **4.** توفي سنة 900هـ/1494م من كبار علماء تلمسان ومؤرخيها اخذ العلم على ابن مرزوق الحفيد عرف بالحافظ التنسي فهو محدث وفقيه وأديب، اشتهر بكتاب " نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" في التاريخ. ـ **5.** احمد بن يحي بن محمد الونشريسي 834-914هـ/1428-1508م، اختص في علوم الشريعة والأصول ،غادر تلمسان سنة1419م متوجها إلى فاس بعد أن نمبت داره،اشتهر بعدة تأليف منها " المعيار المعرب عن فتاوى علماء افريقية والمغرب" لقبه المقري بحافظ الإسلام، انظر ممد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور،دورها في سياسة وحضارة الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1984م،ص:226 ـ **6.** وفي سنة899هـ/1439م فقيه تلمساني، مؤلف " بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب ومحصل المقاصد مما به تعتبر العقائد في علم الكلام: انظر المصدر نفسه ص226 - **7.** عبد الرحمن الثعالبي، العلوم الفاخرة، مخطوط مصدر سابق، ج2 ورقة42

يبدو أن الثعالبي لم يكن يعاني من مشكل المذهبية، فكان متفتحا على كل المذاهب، والتيارات الدينية والفكرية والفلسفية، وهذا يعود إلى اتساع اطلاعه وإدراكه خطورة التطاحن المذهبي والطائفي الذي نخر جسم الأمة الإسلامية على مدار قرون، ولا تزال. فأغلب هذه الكتب والعلوم التي تحصل عليها الثعالبي بالإجازة فهي إما أسانيد، أو معاجم، أو شروح ورسائل، وسير وتصوف ومختصرات وكتب الحديث، وآداب، ولغة. فأغلبها مصادر فقهية ولكنها تحمل بين طياتها البعد التاريخي والحضاري الهام، والتي يمكن أن ترقى إلى الوثيقة التاريخية إذا توفرت على باحث ماهر، وإن كان الثعالبي قد أورد لنا كما هائلا من التوثيق إلا أنها في الغالب كانت بدون تعليل ولا تعليق، وهي صفة اكتسبـــها محدثا من منهج المؤرخين القدمـــاء، ولذلك حاولت بدوري ما استطعت صياغة البحث بالتحليل والاستنباط والنقد والمقارنة حتى يكون لهذا العمل بعد علمي أكاديمي.

ومما يلاحظ على أغلب تآليف عصر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، غلبة القسم الأدبي فيها على القسم التاريخي، فهو تاريخ للأدب أكثر منه تاريخ وطني وسياسي واقتصادي واجتماعي.

وعليه فإن الثقافة الشعبية والأدب بمفهومه الواسع من شعر ونثر يعدان رافدين هامين للتاريخ، فهي مصادر حقيقية لا يستغني عنها أي مؤرخ ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

والشاهد عندنا أن الثعالبي قد اطلع على بعض كتب التاريخ على قلتها وحاول الاستفادة منها في تأريخه للحركة العلمية والثقافية، إلا أن "سيطرة التصوف والروح الدينية السلبية قد أضعفت العناية بالتاريخ والسير وأخبار الأولين، ومن ثم أضعفت دافع التأليف فيها[1].

كان الثعالبي من القلائل الذين حاولوا الجمع بين الأدب والتاريخ، فكان يحاول استعمال المنهج التاريخي المبني على الشك والتدقيق والتحقيق

1. نفسه، ورقة42.

والتمحيص وعدم إصدار الأحكام إلا بعد الإحاطة بالمسألة من كل وجوهها لهذا يقول الثعالبي في مخطوطه "روضة الأنوار ونزهة الأخبار"[1] في هذا المعنى "... أني جمعت لنفسي ولك (القارئ) في هذا الكتاب جواهر ونفائس اخترتها من كتب نفيسة، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

إذ كنت في أثناء مطالعتي، كلما مررت بروضة يانقة، وثمرة يانعة، تناولت من ثمارها، وفهمت ما استحسنته من أنوارها وأزهارها.

وتحريت نقلها بألفاظها، معزوزة لأربابها، حتى اجتمع لي من ذلك جملة صالحة في أنواع وفنون من العلوم كثيرة، كلها مما يهز القلوب، ولم أقصر في ترتيبها، بل ثبتت في جملة الكتاب، محاسنها، ورصّعت من خلالها وأصناف جواهرها، وجعلت فصول الكتاب، روضات هي غنيمة العارفين، ورياض الصالحين".

كان الثعالبي على درجة عالية من الصبر والانضباط في طلب العلم رغم تقدم العمر به فكان مقتنعا بما يسمى بـــ"الجهاد العلمي"، مفنيا زهرة شبابه في خدمة العلم والثقافة والأمة.

فلقد تحصل على إجازات كثيرة ومتباعدة، زمانا ومكانا، متنوعة العلوم والفنون، فلم يكن الثعالبي جاهلا أو متجاهلا، لما يدور في عصره من علوم ومعارف غير أدبية وإنسانية، بل كان على معرفة بعلم الطب[2]، وربما يقصد بقصد، الطب بالأعشاب إلا أنه كان منتشرا بين المسلمين وإن قل الاهتمام به في عصرنا نحن.

ومن أهم المصادر والمراجع الأساسية لعلم الطب آنذاك حسب قول الثعالبي، "كتاب القانون لابن سينا" وكتاب الرازي. ويرى بأن الطب علم سهل وحكمته في المزاولة والتدريب، وهو الشطر الأهم في مهنة الطب،

---

1. أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري (16-20م) الجزء الثاني، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1985م، ص331. – 2. عبد الرحمن الثعالبي، العلوم الفاخرة، مصدر سابق ج2، ورقة33 ومن أطباء تلمسان في هذه الفترة"محمد بن علي بن فشوش"

ويرى بضرورة إحراز الفرد المسلم على نوع من الثقافة الصحية والتي هي جزء من حياته.

4. الشيخ أبو زرعة وإجازته للثعالبي:

ومن الذين أجازوا الثعالبي وهو بتونس في مرحلته الثانية وهي أخصب مرحلة في رحلته العلمية (فيها تعلم وأنتج)، الشيخ أبو زرعة العراقي[1].

أجازه جميع مروياته ومنقولاته على تباين أجناسها واختلاف أنواعها نذكر بعضها"...ألفية والده في علم الحديث، وبعض أحكام تأليف والده المسمى"تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد"، ومن مصنفاته (الابن)، البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مسّ بضرب من التجريح.

وتذييل والده على ذيل العبر الذهبي، والأطراف بأوهـــام الأطراف للمزي، وشرح ابن أبي داوود، و الدليل القويم على صحة جمع التقديم، والأجوبة المرضية عن الأسئلة الملكية، وتحفة الوارد بترجمة الوالد، وفضل الخيل وما جاء فيها من الخير النير وشرح الصدر بذكر ليلة القدر، والأربعون الجهادية، وكشف المدلسين وجمع طرف حديث المهدي، وأحكام سنن ابن داوود، والقطع المتفرقة على نظم الاقتراح لوالـــده وما صنفه في الرقائق أبوابه على حروف المعجم.

والنكت المسماة بالتحرير لما في منهاج الأصول من المنقول والمعقول وشرحه على نظم والده المسمى "بالنجم الوهاج" ورواية مختصر مسلم لابن محمد عبد العظيم المنذري، ومختصر مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي والجمع بين الصحيحين لابن عبد الله الحميدي، والأحياء للغزالي، وكتاب المستدرك لابن عبد الله الحاكم، وشموع زاهر بن طاهر لشهامي..."[2].

---

1. المصدر نفسه ورقة42، ولعله ابن عبد الرحيم الحافظ العراقي المتوفى سنة 806 هـــ/1404م من آثاره "الألفية" في علوم الحديث والمذكورة في المتن وله أيضا المغني عن محل الأسفار في الأسفار. –
2. عبد الرحمن الثعالبي ،العلوم الفاخرة، مخطوط مصدر سابق ج2ورقة42

وكتب ابن زرعة العراقي بخط يده يجيز فيه المرويات والتصانيف السالفة الذكر تلميذه عبد الرحمن الثعالبي، قال فيه "...فقد أجزت للشيخ الصالح، الفاضل الكامل، المحرر المحصل، الرحال، أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي...

"أجزت له كل مسموعاتي ومحضوراتي ومجازاتي ومقولاتي.. وأنا بريء من الغلط والتحريف، وذلك يوم عاشوراء سنة سبع عشرة وثمان مائة..."[1]

"درس الشيخ الثعالبي أيضا على يد شيوخ آخرين في تونس" قراءة السفر الأول والثاني من النسائي إلى أواخر الديوان، على يد الشيخ ابن محمد عبد الواحد بن الشيخ محمد بن إسماعيل الغبريني، وباب ما يقتل المحرم من الدواب من كتاب الحج ومجامع ابن عيسى الترمذي، وجميع سنن أبي داود والربع الأخير من الدارقطني، والمنتق لابن الجأورد، والمسلسلات للمقديسي[2]، تصنيف فضل عاشوراء لابن عساكر، وحديث الرحمة لابن الموطأ[3] كثيرا ما أقر الثعالبي بانتشار الجهل بين المسلمين ومن أدلته على ذلك قلة الاعتناء بالعلماء الصامدين في زمانه وانصراف العامة للبحث على لقمة العيش وكفى، ولذلك فهو يرى بأن كل كاتب مهما كان ملزم بأن يعرف بزمانه وخاصة الأشياخ الشماخ الذين التقى بهم وأخذ عنهم أصول العلوم والمعارف.

فهو أفضل لتتم الاستمرارية الحضارية بين جيل الخلف وجيل السلف، وتبقى الناشئة دائما لصيقة بنخبتها حتى تحدث الوثبة التاريخية المنشودة، خاصة وإن مرتبة العلماء تزيد وتنقص بعلم التاريخ والكلام للشيخ الورتيلاني في كتابه "نزهة الأنظار..." المعروفة بالرحلة الورتيلانية. فدراسة التاريخ ومدارسته بعيون متفتحة بكل سلبياته وإيجابياته أمانة في عنق المؤرخين، وما هذا الجهد المتواضع إلا ترجمة في اتجاه نفض الغبار على كثير ممن نسيهم الناس وهمشهم التاريخ.

---

1. المصدر نفسه ورقة 44 – 2. درسه على يد شيخه لمحمد بن احمد بن موسى البطريني الشيخ حيان الأوسي. – 3. نفسه ورقة 44.

5. أثـــاره و مؤلفاتـــه:

كان الشيخ عبد الرحمن الثعالبي مكتبة متنقلة، فهو موسوعة زمانه، أمد التاريخ والمؤرخين بمعلومات قيمة، يتعذر العثور عليها في غير تآليفه الكثيرة. فلم يكن يتلقى العلم فقط بل يدرس ويبحث ويؤلف، وهو عمل شاق ومضن، خاصة و أنه كان في عصر عدم توفر الطباعة. لقد ضحى بماله وأولاده ووقته وأحبائه من أجل التفرغ للعلم والصبر على مشاق السفر والبعد عن الأهل والأصدقاء.

لقد أضاف الثعالبي شيئا ثمينا للفكر الإسلامي، بما خلف لنا من أمهات المصادر في مختلف العلوم رغم أننا لم نطلع عليها كلها، فهي مبعثرة بين مكتبات العالم.

كيف لا يكون كذلك وأنا أحصيت له قرابة المائتي كتاب قرأها عن طريق الإجازة و نرى أن العدد قليل، لأنها أرقام جزئية بحكم عدم إطلاعنا على كل إنتاجه.

كانت للثعالبي قدرة كبيرة على الكتابة والتأليف في زمن قل فيه المنتجون وإخلاد أغلبهم إلى الراحة وتركهم لواقعهم المر وفرارهم منه إلى الأمور السهلة.

من خلال تآليفه يكون الثعالبي قد أعطى لنا صورة كاملة عن العلوم المتداولة آنذاك والتي كانت أغلبها في العلوم الدينية كالفقه والتفسير والعقائد، والتصوف إلى جانب اللغة والأدب كعلوم البلاغة والشعر والنثر وغيرها من العلوم اللغوية، كانت كتبه تحظى بالقبول والاستحسان والتقدير بين أوساط الأدباء والعلماء في حياته قبل مماته.

وكان معروفا و متداولا بعد مماته وإن كان قد طغى عليه الزهد والتصوف، وأغلب الناس يعرفونه من هذه الزاوية فقط.

ومن أهم القيم التي يتوخاها أي مؤرخ والتي لمسناها عند الثعالبي: الصدق والأمانة في نقل الخبر والتحقق منه، والتدقيق في ما يكتب.

كان أكثر دقة وتفصيلا في إيراد المعلومات، خاصة وأن مدرسة التراجم كانت هي المدرسة التاريخية السائدة في عصره.

كان الثعالبي يحاول أن يربط تآليفه بالواقع المرّ ويجيب عن انشغالاته بأسلوب رصين ومواضيع طريفة وجديدة في مضامينها.

فكان الثعالبي يبحث في مختلف المصادر ولا يبخل بها على القارئ، فيزوده بها، بل كان يميز بين الوثائق المكتوبة والرواية الشفوية وهي قمة عمل المؤرخين، وحاول أن لا يكون جماعة فقط بل يخضع كل ذلك إلى النقد والإضافة.

1. مؤلفاتـــه:

من أشهر مؤلفاته وأكثرها قيمة شهادة صاحبها "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"[1] في التفسير وهو مذيل بمعجم لغوي لشرح غريبه.

وله أيضا كتاب، الأربعون حديثا في الوعظ، والأنوار في معجزات المختار[2]، وتحفة الإخوان في إعراب آيات القرآن[3] وهو في إعراب القرآن، و جامع الأمهات في أحكام العبادات، والجامع الكبير الذي وضعه ملحقا بشرحه على مختصر ابن الحاجب الفرعي[4]، وجامع الفوائد[5] وجامع الخيرات، وجامع الهمم في أخبار الأمم في جزئين[6]، والجامع الفرعي، الدر

---

1. هو اختصار لتفسير ابن عطية الغرناطي،كتبه صاحبه سنة833هـ/1430م طبع بالجزائر في أربعة أجزاء،انظر فرقة بحث منهم ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995/ ص:125 طبع الجزء الأول منه بمطبعة جوردان1905م، أما الثلاثة الأجزاء الباقية فطبعت بالمطبعة الثعالبية سنة1907م وقيل في مصادر أخرى 1910،1909، نشره محمد ابن مصطفى بن خوجة، انظر إسماعيل العربي، الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 مص:70 ـ **2.** جاءت صيغته أيضا "كتاب النوار في آيات النبي المختار" انظر عادل نويهض، مرجع ساب ص89. ـ **3.** محمد بن ميمون،مصدر سابق ص341 وجاءت كالتالي تحفة الإخوان في إعراب بعض أي من القرآن الكريم انظر عادل نويهض مرجع سابق ص89. عبد الرحمن الجيلالي،مرجع سابق،ج، 2ص274 ـ **4.** عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق ج2، ص274 ـ **5.** محمد بن ميمون مصدر سابقص342 ـ **6.** عبد الرحمن الجيلالي مرجع سابق،ج2، ص274 كانت تحمل فائدة كبير لمعالجة هذا الموضوع لو عثرت على هذا المصدر الهام في التاريخ .

الفائق[1]، و الذهب الإبريز، في غريب القرآن العزيز، وروضة الأنوار ونزهة ونزهة الأخيار، ورياض الصالحين[2]. وشرح المدونة ورياض الأنس[3]، وإرشاد السالك وهو صغير الحجم[4] والإرشاد في مصالح العباد، والأذكار والدعوات، والدرر اللّوامع في قراءة نافع، والدرر الملتقطة والأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقـــة والرؤى والتقاط الدرر والرقائق وشرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي في جزئين[5] وشرح مختصر خليل بن إسحاق، وشرح المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع، طبع بالمطبعة الثعالبية سنة 1324هـ/ 1906م بالجزائر العاصمة[6]، والعلوم الفاخرة في أحوال الآخرة[7]، ونور الأنوار ومصباح الظلام والفهرسة جمع فيها أسانيده ومشايخه، أطلق عليها اسم "غنية الواحد وبغية الطالب"[8]، والنصائح، وشرح على ابن هارون وشرح على غرار ابن عرفة ومختصر الفهرسة[9] والرحلة[10] والعقد النفيس[11].

هذا قليل من كثير مما خلفه الثعالبي فهو رجل مئلاف (كثير التأليف) ندب نفسه فداء للجزائر خاصة والعالم الإسلامي عامة، حقا كان رجلا مجتهدا في زمن قلّ فيه المجتهدون.

فما أحوجنا إلى تآليفه التي ضاعت وضاع معها كتر عظيم كان يمكن أن يكون لها أثر حميد في تقويم مسارنا وتصويب انحرافاتنا.

2. *ما كتب عنه:*

كثيرة هي الكتابات التي تناولت شخصية عبد الرحمن الثعالبي من منظورها الخاص، إلا أننا لا زلنا بحاجة ماسة إلى كتابات أكثر شموليـــة وعمقا وعلمية فائقة،

---

1. عبد الرحمن الثعالبي الدار الفائق،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم2780، ناسخة السيد محمد بن زيان بن عيسى الزغيش بتاريخ 1820. – **2.** عبد الرحمن الثعالبي، رياض الصالحين مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم883، عنوانه بالكامل رياض الصالحين وتحفة المتقين، و لم يذكر فيه اسم و لقب الناسخ و كان تاريخ نسخه سنة 1835 مومن بعض الأبواب الذي عالجها: فيما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في ليله ونهاره الدعاء والذكر على النبي،فيما يقوله الإنسان عند الصباح والمساء، به 207 ورقة و في جزأين. – **3.** عادل نويهض،مرجع سابق ص:89 – **4.** عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ج2، ص274 – **5.** المرجع نفسه ج2، ص274. – **6.** نفسه ج274،2. – **7.** محمد بن ميمون مصدر سابق ص342 – **8.** عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق،ج2 ص : 275 الأصح هو العلوم الفاخرة في النظر إلى الآخرة ،وهو في جزأين مطبوع من طرف المطبعة الحامدية المصرية سنة 1317هـ/1900م، ورقمه بالمكتبة الوطنية الجزائرية هو1450 – **9.** عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق ج2 ص 274 – **10.** محمد بن ميمون، مصدر سابق ص 342 –**11.** نفسه ص342.

خاصة وأن أعماله كانت لها قيمـــة تاريخية وعلمية، وأدبية، تستوجب إعادة النظر في تأسيس جهد إضافي أكبر لهذا المجاهد الأكبر.

ومن الذين كتبوا عنـــه ولم يخذلـــوه وهم مشكورون على ذلك[1]، كما لا يمكنني تكرار المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة، بل سأكتفي فقط هنا ببعض التوثيق الذي لم يحصل لي الشرف بالعودة إليه، لا تقصيرا أو تهاونا مني بل الوقت قد استعجلني. ومن هذه المؤلفات: أبو رأس الناصري: عجائب الأسفار، البغدادي: هدية العارفين ج1، أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف ج1، الحسن الورتيلاني: الرحلة الورتيلانية المسماة بنزهة الأنظار، الزركلي: الأعلام ج4، السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، الكتاني: فهرس الفهارس ج2، عبد القادر نور: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، التنبكتي: نيل الابتهاج، السلاوي: الاستقصاء ج1، محمد الوزير السراج: الحلل السندسية، الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، أبو يعقوب: التصوف، معجم أعلام الجزائر، شجرة النور الزكية، ابن فرحون: الأنوار في ذكر الشرفاء، عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني، ابن خلدون: المقدمة، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، الضوء اللامع ج4، المقري: نفح الطيب ج7، الونشريسي: المعيار المعرب ج2 هدية العارفين ج1، كشف الظنون، معجم المؤلفين ج5، إيضاح المكنون ج1 وج2: فهرس المخطوطات التيمورية ج3.

وبعد كل هذا يمكن أن نقول بأن الشيخ عبد الرحمن الثعالبـــي كان موسوعة، عالما بعلمي المعقول والمنقول، مترجما ومؤرخا وبحاثة يتسم بالحفظ والذكاء فجمع بينهما، كما كان من القلائل الذين استثمروا أوقاتهم في الجد والاجتهاد نافعا ومنتفعا، مؤثرا ومتأثرا قام بتصحيح كثير من المفاهيم والقضايا الخطيرة التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية.

---

1. لم يتوفر لنا الوقت الكافي للقيام بجرد شامل لكل ما كتبه عبد الرحمن الثعالبي وكل ما كتب عنه سواء باللغة العربية او اللغات الأجنبية، ولكنه يبقى دين عليا سأنجزه لاحقا إن شاء الله ولهذا فمعذرة إن لم أذكر بعض المراجع والمصادر التي ربما كان لها شرف السبق في الكتابة عنه.